نظرية نظم القرآن واستخدامها في تفسير نظم الدرّر لبرهان الدين البقاعي (دراسة تطبيقية لسورة البقرة من الآية 1 إلى الآية 46)[1]

أنوغراة محفوظين[2]، باي زكوب عبد العالي[3]

الملخص

تضمّن القرآن أخباراً وخطابات مختلفة بأساليب بيانية وبلاغية متنوعة. وقد عسُر على بعض أهل العلم وعلى أكثر المبتدئين وقارئي القرآن من غير العرب خصوصا أن يفهموا التناسق والترابط بين سور القرآن وآياته، وفهم تلك العلاقة يعتبر غاية في الأهمية إذ يمكننا من الوقوف على الكثير من أنوار القرآن وآثار آياته المتسقة، ولذا قد هدفت الدّراسة إلى التعريف بنظرية نظم القرآن بصورة شاملة وكيفية استخدامها في التفسير، فلعلّ بيانها يساعد المبتدئين في قراءة القرآن وخاصة غير العرب على الفهْم السريع والاستفادة قدر الإمكان من نظم القرآن. واعتمد الباحث المنهج الاستقرائي التّحليلي للوصول إلى تصوّر واسع حول مفهوم نظرية نظم القرآن ونشأتها، كما اعتمد المنهج الاستنباطي، وذلك لاستنباط كيفية استخدام برهان الدين البقاعي لنظريّة نظم القرآن من خلال تفسيره الموسوم: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"لسورة البقرة (من الآية 1 إلى الآية 46). توصّل البحث إلى أنّ نظرية نظم القرآن هي تصوّر عام لقضية أو موضوع في شأن نظم القرآن الّذي تكون السّورة فيه كلامًا واحدًا، ويُعدّ الإمام عبد الحميد الفراهي الهندي أوّل العلماء الذين تطرقوا لهذه النظرية بصورة شاملة، وسماها بنظرية نظام القرآن، وتبرز أهمّيتها في أنها تتناول أحد جوانب الإعجاز القرآني، والتي تساعد على فهم كتاب الله.كما توصّل البحث إلى منهج برهان الدّين البقاعي في تطبيق هذه النّظرية في الجزء المدروس من تفسيره.

الكلمات المفتاحية: نظرية، نظم القرآن، نظم الدرّر، برهان الدين البقاعي، البقرة.

1 هذا البحث مستل من رسالة ماجستير نوقشت في قسم علوم القرآن والسنة، كليّة العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية.

2 طالب ماجستير قسم علوم القرآن والسنة، كلية علوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية،zaidakareem@yahoo.com

3 أستاذ مساعد، قسم علوم القرآن والسنة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية. bey.zekkoub@mediu.edu.my

The Theory of Nazm al- Qur'an and its use in the Tafsir of Nazm Addurar by Burhanuddin Bekaie

(Applied study of Surah Al-Baqarah from verse 1 to verse 46)

Machfuddin Anugerah & Bey Zekkoub Abdelali

Abstract:

The Nobel Qur´ān contains various informations and auidiences, and uses various rhetorics and eloquence styles. Some scholars, moreover beginner and non-arabian reader hardly understands about harmony, coherent and interconnection between Sūrah and between its verses in Qur´ān, Whereas reading and understanding Qur´ān with noticing the correlation between verses in a Sūrah will open a lot of Qur´ān light and influence of its harmonious verses. Therefore, this study aims to know compherensively about the concept of naĐm in Qur´ān and its roles in exegesis of Qur´ān, hopely that it will help them to understand fast and take most advantage of nazm in Qur´ān. The researcher uses inductive and analytical method to get general conception of its meaning and its growth, and deductive method for eliciting the way of Al-Biqā'i in his exegesis entitled: "NaĐm ad-Durar fī tanāsub al-´Āyāt wa as-Suwar", in interpreting Sūrah Al-baqarah (from Verse 1 to 46). The researcher concluded that the theory of NaĐm-Al- Qur´ān is a concept which believes that the verses of the Qur´ān are interconnected in such a way that each Sūrah, or chapter, of the Qur´ān forms a coherent structure, having its own central theme. Al-´imam al-farāhÊ was known as the first scholars who found the theory and called it with the theory of NaĐm-Al-Qur´ān. Its importance is to show one aspect of the great miracle of the Qur´ān, and to contribute in understanding the Nobel of Qur´ān. As such the researcher conclude the way of Al-Biqā'i in implementation of the concept of NaĐm in interpreting Qur´ān from the part of his exegesis.

Keywords: Theory, Nazm al- Qur'an, Nazm a- Durar, Burhanuddin al- Bekaie, Baqara

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. أمّا بعد:
فلا يستغني مسلم عن تعلّم القرآن والاستفادة منه، ولأنّه دستورنا ومنهج حياتنا، وقد اعتنى العلماء بالقرآن الكريم من حيث وضع قواعد لتفسيره وبيان معانيه وأحكامه.

منذ بداية نزول الوحي، أصبحت حياة النبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم كلّها مقيّدة بالتّوجيه والإرشاد الإلهي لتتحدّد لديه جهة التلقّي، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ سورة النّجم، الآية: 3-4.

حتى أصبحت حياته تفسيراً وتطبيقاً لوحي الله سبحانه وتعالى. فنزل القرآن الكريم منجّماً ومفرّقاً على حسب الوقائع والأحداث، وعند إمعان النّظر في ترتيب الآيات والسّور في المصاحف الّتي بأيدينا اليوم يتبيّن لكلّ عاقل منصف أنّ القرآن الكريم بخصائصه المتميّزة يستحيل صدوره من أي بشر مهما بلغ من العلم.

وبهذا التّرتيب الربّاني هُدّمت عقائد الكفر وأفكار الجاهلية، وبني الإسلام عقيدةً وشريعةً ومنهجاً وفكرةً بتدرّج على حسب الوقائع والأحداث والدّواعي والأسباب المتجدّدة.

و ترتيب التّلاوة هو ترتيب متقن يحمل من الأسرار والمزايا والحكم الشيء الكثير الّذي لا تتصوّر العقول كنهه. إنّ كتاب الله تعالى هو شريعة هذه الأمّة ودستورها، به ختمت الشرائع، فحتّم ذلك أن يكون هذا الكتاب صالحاً على مرّ العصور وكرّ الدّهور، متمشيّاً مع تقدّم المجتمعات وتطوّرها ونموها، متضمّناً لكلّ ما فيه صلاح الفرد والمجتمعُ ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ سورة الإسراء، الآية 9. فبترتيبه المحكم فسّره المفسّرون وتلاه النّاس وحفظوه في الصّدور والّسطور واستنبط منه الفقهاء أحكام الشّريعة، و تدبّره المتدبّرون وعملوا به في كلّ مجالاتهم الحياتية.

واهتمّ العلماء بنظم القرآن اهتماماً كبيراً واستمرت جهودهم الّتي بدأ مشوارها بعض السّلف، ومازال العلماء كلَّ يومٍ يقدّمون لنا من الأسرار الباهرة والحكم النّاضرة بما يبهج العقول ويسكن النّفوس لكلام العزيز الحكيم. قال البقاعي: "إنَّ ترتيب السّور في السّياق التّرتيلي الّذي هو بين دفتي المصحف الّذي عليه الأمّة جمعاء إنّما هو مظهر من مظاهر إعجازه البياني، وأنّ تناسبها لمعجز ليس بالمحصور في تناسب نظمه التّركيبي الماثل في بناء الجملة، بل هو أيضاً متحقّق على كماله في نظمه الترتيبي الماثل في علاقات الجمل بعضها ببعض في بناء المعقد، وعلاقات المعاقد بعضها ببعض في بناء السّورة، وعلاقات السّور بعضها ببعض في بناء البيان القرآني العظيم كلّه مفتتحاً بسورة الفاتحة ومختتماً بسورة النّاس"[4].

---

4 البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، 199/4.

مشكلة البحث:

إنّ القرآن الكريم ليس كتاب هداية للعرب، ولا للماهرين، ولا للمتخصّصين فقط؛ بل هو أيضاً كتاب هداية للنّاس عامة؛ وقد نشر القرآن في مناطق مختلفة من أنحاء العالم، وأقبل المسلمون في كل العالم يستفيدون منه على قدر طاقتهم. وإنّ القرآن يحتمل الأحكام والقوانين الكثيرة، والقصص، والأخبار وغيرها. ويتضمّن خطاباً متنوعاً مع الملائكة والمرسلين، والمؤمنين والكافرين وما إلى ذلك. ويستخدم الأساليب البيانية والبلاغية المتنوعة. وقد عسُر على بعض أهل العلم وعلى أكثر المبتدئين وقارئي القرآن من غير العرب خصوصا أن يفهموا التناسق والترابط بين سور القرآن وآياته، وتلاوة القرآن الكريم وفهمه دون مراعاة الصّلة بين السور وآيات السّورة الواحدة، أدّى إلى فَقْدِ الكثير من أنوار القرآن وآثار آياته المتسقة.
وإنّ المسلم المعاصر يحبّ أن يدرس الأشياء بطريقة عمليّة ؛ فقراءة كتب التّفسير الكبيرة مع تشعب المواضيع والعلوم يعتبر صعبا على قارئي القرآن المبتدئين وخاصة من غير العرب، فلعلّ تفسير القرآن الذي يهتم بنظم القرآن، أي إبراز الصّلة بين آيات السّورة الواحدة، وبين سور القرآن والسّياق العام للقرآن والسياق الخاص داخل السّورة الواحدة وإبراز مقاصدها ومواضيعها، سيساعدهم على الفهْم السريع والاستفادة الكبرى من القرآن الكريم. ويُعدّ تفسير البقاعي أوّل تفسير كامل من نوعه في تطبيق نظرية نظم القرآن.

أسئلة البحث:

1. ما المقصود بنظرية نظم القرآن ومتى ظهر الكلام عن هذه النظرية ؟
2. ما خطوات وضوابط استخدام نظرية نظم القرآن في التفسير؟
3. كيف استخدم برهان الدين البقاعي نظرية نظم القرآن عند تفسيره لسورة البقرة (من الآية 1 إلى الآية 46) ؟

أهداف البحث

1. بيان المقصود بنظرية نظم القرآن.
2. بيان الخطوات والضوابط المهمة في استخدام نظرية نظم القرآن في التفسير.
3. بيان كيفية استخدام برهان الدين البقاعي لنظرية نظم القرآن عند تفسيره لسورة البقرة (من الآية 1 إلى الآية 46).

أهمية البحث

1. ستساعد هذه الدّراسة القارئ على تكوين صورة شاملة حول نظرية نظم القرآن،كما ستساعده على سهولة فهم الحكم واللطائف الّتي استنبطها العلماء، وبالتالى ستساعده على حسن القراءة والتّرتيل والتّدبر ثمّ استقامة الفهم.
2. تحديد بعض الخطوات والضوابط لإبراز وجه النظم في القرآن الكريم من خلال ما كتبه العلماء عن نظرية نظم القرآن من الكتابات والبحوث القديمة والحديثة، وسيساعد الباحثين في سعيهم لإبراز وَجه نظم القرآن بقدر الطاقة البشرية.
3. ومن خلال تفسير برهان الدين البقاعي نستطيع أن نرى الشق التطبيقي لنظرية نظم القرآن في التّفسير، إذ من مزايا هذا التفسير اهتمامه بهذه النظرية، بل اتخذها أحد أسس تفسيره، وطريقته فريدة في إبراز ارتباط آيات وسور القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني.
4. التركيز على إبراز وجه نظم القرآن في تفسير البقاعي سيسهّل للقارئ والمتدبّر فهم وتذوّق لطائف نظم آيات وسور القرآن وبديع ترتيبها مباشرة، دون تكلّف البحث في غيرها، ذلك لأنّ تفسير البقاعي ساق الأحاديث، وتطرق لقضايا اللغة، وأورد الشواهد من الكتب القديمة وهذا يصعب الفهم على عوام الناس في فهمها.

منهج البحث

يعتمد الباحث في هذه الدّراسة المنهج الاستقرائي التّحليلي، وتتمثل أداته في تحليل المحتوى للمادة ذات الصّلة بالموضوع، كما استخدم الباحث المنهج الاستنباطي، للوقوف على كيفية استخدام برهان الدين البقاعي لنظريّة نظم القرآن من خلال تفسيره لسورة البقرة (من الآية 1 إلى الآية 46) في ضوء ما سبق من استقراء وتحليل لما كتب في نظرية نظم القرآن.

الدراسات السابقة:

1. "إمعان النّظر في نظام الآي والسّور"، رسالة ماجستير لمحمّد عناية الله سبحاني، نوقشت في جامعة الإمام محمّد بن سعود الرياض (1981م).
2. "نظرية الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم من خلال كتاب الأساس في التّفسير" رسالة الماجستير لأحمد بن محمّد الشّرقاوى، في جامعة الأزهرعام (١٤١٤هـ).
3. التّناسب القرآني عند الإمام البقاعي (دراسة بلاغية)، رسالة ماجستير لمشهور موسى مشهور مشاهرة، في الجامعة الأردنية، عمان (2001 م).

التعليق على الدراسات السابقة:

تناولت الدراسة الحالية، كيفية استخدام برهان الدين البقاعي لنظريّة نظم القرآن من خلال تفسيره لسورة البقرة (من الآية 1 إلى الآية 46) ، وهذا ما لم تفعله الدراسات السابقة، ومما يؤكد على أن موضوع الدراسة جدير بالتناول لأنّنا نستطيع أن نرى الشق التطبيقي لنظرية نظم القرآن في التّفسير، إذ من مزايا تفسير البقاعي اهتمامه بهذه النظرية، بل اتخذها أحد أسس تفسيره، وطريقته فريدة في إبراز ارتباط آيات وسور القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني.

التمهيد: مفهوم نظرية نظم القرآن الكريم وكيفية استخدامها في التفسير

المبحث الأول: مفهوم نظرية نظم القرآن

المطلب الأول: مفهوم النّظرية لغةً واصطلاحاً

– النظرية لغة مشتقة من النّظر، وهو:تأمّل الشّيء بالعين، وتقول: نظرت إلى كذا وكذا من نظر العين ونظرالقلب[5] ويقال: نظر إلى الشّيء: أبصره وتأمّله بعينه، وفيه تدبّر وفكر، يقال: نظر في الكتاب ونظر في الأمر، نظر بين النّاس: حكم وفصل بينهم[6]

والنّظر: تقليب البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته،وقد يراد به التّأمّل والفحص، أويراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص. قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ سورة الأعراف، الآية 185 ،الآية توجّه الأنظار والعقول إلى تأمّل حكمة الله في الكون واستخلاص أفكار وعبر ونتائج مفيدة ومشاهدات تقود الإنسان إلى الخوف من الله والإحساس بعظمته[7].

– أمّا اصطلاحًا فهي كالآتي:

– تصوّر عام لقضية أو موضوع في علم من العلوم، يقوم على أُسس ثابتة من الحقائق جزئية أو مطلقة، وعلى جميع النّتائج والأبحاث والتّجارب، وعلى ترتيب النّتائج، حتّى يجمع تصوّر القضية الّتي يراد ممارستها في الواقع البشري ويبيّن مداها وخصائصها؛ ليقوم على هذا التصوّر النّهج والتّخطي؛ لتنمو النّظرية من خلال الجهد البشري والممارسة والتّطبيق، وتتطوّر بالإضافة أو الحذف أو التعديل.

المطلب الثاني: مفهوم النظم لغةً واصطلاحاً:

---

5 ابن منظور، **لسان العرب**، باب الراء، فصلالنون، 2/5.

6 مصطفى إبراهيم، **المعجم الوسيط**، باب النون، مادة: نظر، 931/2.

7 الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، 82/5.

– النظم لغةً: هو التأليف، وضمّ شيء إلى شيء آخر، يقال: نظمت اللؤلؤ أي: جمعته في السلك، والتنظيم مثله. ومنه: نظمت الشعر. والنّظام. بكسر النون: الخيط الّذي ينظم به اللؤلؤ.. ومنه: نَظَمْتُ الشّعر. وكلّ شيء قَرَنْتَه بآخر أو ضَمَمْتَ بعضه إلى بعض فقد نَظَمْتَهُ. والنُّظُمْ جمع نِظَامْ، والنِّظَام: ما نَظَمْتَ فيه الشيء من خيط وغيره، وكل شعبة منه وأصل: نظَامُ. وهو في الأصل مصدر، والإنْتظَامُ : الإتّساق[8].

ومن هذا المدلول اللّغوي يمكننا القول بأنّ النّظم هو التّنسيق والانسجام الكامل بين الأجزاء المكوّنة لأي شيء، من ناحية المحتوى والظاهر. فأمّا من ناحية المحتوى، فإنّ كلّ شيء مركّب من أجزاء مختلفة، وهذه الأجزاء هي الّتي كوّنت ذلك الشّيء فصار كلاً.فالنّظم فيه هو وجود تناسب بين أجزائه من حيث تكوينه من مواد خاصّة، وبمقدار خاصّ، وبشكل خاصّ، وبوضع خاصّ... وأمّا من ناحية الظّاهر، فبما أن النّظم يربط بين أمور مختلفة، سواء كانت أجزاءً لمركّب أو أفرادًا من ماهيّة واحدة، أو ماهيّات مختلفة، فهذا التّرابط والتّناسق بين الأجزاء، أو التوازن والإنسجام بين الأفراد، يؤدّي بطبيعة الحال إلى غاية مخصوصة.

– واصطلاحاً هو كالآتي:

تكون السّورة كلامًا واحدًا، ثم تكون ذات مناسبة بالسّورة السّابقة واللّاحقة، أو بالّتي قبلها أو بعدها على بُعد منها، فكما أنّ الآيات ربّما تكون معترضة، فكذلك ربّما تكون السّورة معترضة، وعلى هذا الأصل نرى القرآن كلّه كلاماً واحداً، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه، من الأوّل إلى الآخر[9]

هذا التّعريف قد جمع أربعة عناصر من معانى "نظم" في علاقته مع القرآن، وهي: التّرتيب، والتّناسب، والتّناسق الموضوعي، والوحدة الموضوعية. سيقتصر في معنى مصطلح "نظم" على معنى الذّي استخدمه علماء اللغة والبلاغة في بحوثهم حول نظرية نظم القرآن.

المطلب الثالث: مفهوم القرآن لغةً واصطلاحاً:

. القرآن فى اللّغة مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ سورة القيامة، الآية 18.القُرآن: التَّنْزِيلُ الْعَزِيزُ. قَرَأَهُ يَقْرَؤُهُ ويَقْرُؤُهُ، الأَخيرة عَنِ الزَّجَّاجِ، قَرْءاً وقِراءَةً وقُرآناً، الأُولى عَنِ اللِّحْيَانِيِّ، فَهُوَ مَقْرُوءٌ. أَبو إِسحاق النَّحْوِيُّ: يُسمى كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَنزله عَلَى نَبِيَّهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَابًا وقُرْآناً وفُرْقاناً، وَمَعْنَى القُرآن مَعْنَى الْجَمْعِ، وَسُمِّيَ قُرْآناً لأَنه يَجْمَعُ السُّوَر، فيَضُمُّها[10]

---

8 ابن منظور، **لسان العرب**، باب الميم، فصل النون ، 578/12، والفيروزآبادى، **القاموس المحيط**، مادة: م –ظ– ن، 1162/1.

9 الفراهي، **دلائل النظام**، ص 46–87.

10 ابن منظور، **لسان العرب**، باب الهمزة، فصل القاف، 128/1.

قالوا: فسُميّ القرآن به: لِقِران السُور والآيات والحروف فيه، ومنه فسُمّىَ الجمع بين الحج والعمرة في إحرام واحد قران[11]. قال أنّه مشتق من "القرائن" جمع قرينة، لأنّ آياته يُصدّق بعضها بعضاً ويُشبه بعضها بعضاً[12]

. وفي الاصطلاح هو: كلام الله المنزل على نبيّه محمّد صلى الله عليه وسلّم، المعجز بلفظه، المتعبّد بتلاوته المكتوب في المصاحف المنقول بالتّواتر[13].

المطلب الرابع: مفهوم جملة "نظرية نظم القرآن"

بعد تعريف معانى الكلمات على حدّة يرى الباحث أنّ معنى "نظرية نظم القرآن" في التّركيب الإضافي هو: تصوّر عام لقضية أوموضوع في شأن نظم القرآن الّذى تكون السّورة كلامًا واحدًا، ثم تكون ذات مناسبة بالسّورة السّابقة واللّاحقة، أو بالّتي قبلها أو بعدها على بُعد منها، فكما أنّ الآيات قد تكون معترضة، فكذلك قد تكون السّورة معترضة، فيكون القرآن كلّه كلاماً واحداً، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه، من الأوّل إلى الآخر، يقوم هذا التّصوّر على أُسس ثابتة من جميع الأدلّة والنّتائج والأبحاث وصنيع العلماء المتقدّمين والمتأخّرين، ويبيّن مداها وخصائصها؛ ليقوم على هذا التّصور النّهج والتّخطيط؛ لتنمو النّظرية من خلال الجهد البشري والممارسة والتّطبيق.

فنظرية نظم القرآن هي مجموعة من أقوال وآراء العلماء المتقدّمين والمتأخّرين حول شأن نظم القرآن وما يتعلّق به، كنتائج اجتهادهم في إبراز أسرار ترتيب آيات وسور القرآن الكريم،وتمثل هذه النتائج إسهامًافي إثراء علوم القرآن والتّفسير.

المبحث الثاني: كيفية استخدام نظرية نظم القرآن في التفسير

القصد الأساسي في استخدام نظرية نظم القرآن في التّفسير هو تبيين وَجه النّظم مفصّلاً بين كلّ آيةٍ في كلّ سورة سورة بقدر الطاقة البشرية، وبلوغ هذا القصد وضعت قاعدة مهّمة يساعد في معرفة مناسبات الآيات في جميع القرآن، قال السيوطي: "هو أنّك تنظر إلى الغرض الّذي سيقت له السّورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدّمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدّمات في القرب والبعد من المطلوب، وَتنظر عِنْد انجرار الْكَلَام فِي الْمُقدمَات إِلَى مَا يستتبعه من استشراف نفس السّامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له، الّتي تقْتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلى المهيمن على حكم الرّبط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا فعلته تبيّن لك وجه النّظم مفصّلاً بين كلّ آية وآيةٍ في كلّ

11 الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، 278/1.

12 السيوطي، **الإتقان فى علوم القرآن**، 1/ 137

13 الزُّرْقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط1 ،19/3.

سورة"[14] لذا سيورد الباحث بعض الخطوات المساعدة على تطبيق نظرية نظم القرآن الكريم في التفسير كما سيأتي:

الخطوة الأولى: النظرة الكلية للوحدة الموضوعية في القرآن الكريم كاملاً

لمعرفة النّظام يجب البدأ أولا باستخراج الموضوعات من القرآن الكريم الذي له موضوعاته كثيرة ، ولكن له مقاصدُ كلية يعود إليها كلّها. وهذا ما يسمّي ب"الوحدة الموضوعية في كل القرآن الكريم".لمعرفة المقاصد الكلية للقرآن الكريم فوائد في إبراز وجه النظم من خلال تفسير القرآن الكريم. منها أنّ معرفتها تساعد المفسّر في تقسيم موضوعات الآية والسّور بالنظر إلى هذه المقاصد الرئيسة، بحيث تكون"الوحدة الموضوعية في كل القرآن الكريم"كالخريطة العامة للمفسّر في بيان موقف أو مكان مجموعات الآية أو السّور فيها. وهذه كلّه يساعد المفسّر في إبراز وجه التّناسق الموضوعي للسّورة وربطآيات وسور القرآن، وأي وجه من وجوه المناسبات نظرًا إلى موقف مجموعات الآية أو السّور في الوحدة الموضوعية في كل القرآن الكريم.

الخطوة الثانية: النّظرة الكلية للوحدة الموضوعية في السّورة القرآنية

للسّورة القرآنية غرض تام تدور حوله معاني آيات السّورة، قد عرّف الطاهر بن عاشور رحمه الله "السورة" بتعريف: "قطعة من القرآن معيّنة بمبدأ ونهاية لا يتغيّران، مسمّاة باسم مخصوص، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر، في غرض تامّ ترتكز عليه معاني آيات السورة"[15]. هذا الغرض يكون محورًا رئيسًا تبني السّورة عليه، وتدور عليه مقاطعها المختلفة. وبهذا يُعلم أنّ لمقاطع السّورة الواحدة موضوعات فرعية يجمعها موضوع رئيس واحد. هذا المحور الرئيس يُسمي أيضًا "الوحدة الموضوعية في السّورة" الّتي استخرجها المفسّر في طلب وجه النّظم في الآيات والسّورة.

يسمّي الفراهي الوحدة الموضوعية في السّورة القرآنية ب"عمود السّورة"، الّذي يعني به: " العنوان الرئيسي للسّورة من القرآن"؛ فمعرفته تؤدّي إلى معرفة نظام القرآن كلّه، ولم يكن يعتمد في استخراج هذا العمود على حشد الأقاويل والرّوايات الّتي تملأ كتب التّفسير؛ بل كان يعتمد مباشرةً إلى تدبّر القرآن والنّظر في معانيه وأهدافه نظرَ المطلع الخبير؛ ليهديه هذا التّأمّل المجرّد إلى معرفة العمود، ومن ثَمَّ إدراك النظام[16].

الخطوة الثالثة: مراعاة التّناسق الموضوعي في القرآن الكريم

---

14 انظر: السيوطي، **الإتقان**، 982/2.

15 ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، 84/1.

16 الفراهي، **تفسير نظام القرآن و تأويل الفرقان بالفرقان**،ص 42-43.

يهدف التّناسق الموضوعي إلى إبراز النّظام والتّلاؤم والتّتابع بين موضوعات الآيات والمقاطع في السّورة. فيينظر المفسّر في ترابط موضوعات أجزاء القرآن الكريم فيما بينها ومراعاة انتظامها على هذا التّرتيب الّذي هي عليه في المصحف، ومراعاة تتابعها في ترتيب آيات وسور القرآن الكريم، وينظر في ما يدلّ على وجه انتظامها على هذا النّسق الّذي عطف فيه بعضها على بعض، وتوالى فيه بعضها عقب بعض، تتكوّن السّورة القرآنية من مقاطع متعدّدة حيث تشتمل على مقدّمة، وعمود، وخاتمة، فيقسّم الباحث السّورة إلى أجزائها موضوعيًا، ووضع عنوان مناسب لكلّ موضوع ودراسة التّناسق بين كلّ موضوع وما قبله ومراعاة عناصر التّناسق الموضوعي.

الخطوة الرابعة: بيان وجوه المناسبات

يهدف البحث في المناسبات إلى بيان كل وجه من أوجه الترابط في القرآن الكريم، سواء تلك التي تتعلّق بمقتضيات أحوال التّركيب والتّرتيب أو لا تتعلّق بها. ولا يلزم من ترابط المناسبات الملاءمة والمتابعة، ولذلك كان البحث فيها أوسع وأكثر من التّناسق الموضوعي والوحدة الموضوعية.

يشترط لجواز طلب المناسبات ما يشترط في قبول التّفسير بالرأي؛ إذ فيهما ارتباط وثيق. وتتمثل شروط جواز طلب المناسبات في القرآن العظيم فيما يلي:

- أن تكون المناسبة منسجمة مع السياق والسباق واللحاق، وأن تكون متوافقة مع تفسير الآية.
- أن لا تكون المناسبة متعارضة مع الشرع أو مع اللسان العربي.
- أن لا يجزم المفسّر بأنّ هذه المناسبة هي مراد الله تعالى، غاية الأمر.
- أن يعلم أنّ المناسبة موجودة، ولا يلزم أن تكون ظاهرة في كل موضع لكلّ أحد[17].

المبحث الأول: استخدام نظرية نظم القرآن في تفسير برهان الدين البقاعي لسورة البقرة

[17] بازمول محمّد، **علم المناسبات في السور والآيات**، ص 37.

المطلب الأول: برهان الدين البقاعي وتفسيره نظم الدّرر في تناسب الآي والسّور

الفرع الأول: نبذة عن المؤلّف

وُلد الإمام الكبير، المفسّر المحدّث المؤرّخ الأديب برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرُباط ابن على بن أبى بكر البقاعي الخرباوي الشافعي بقرية خربة روحًا-من عمل البقاع، بلبنان-سنة 809 هـ-1406م.

علّمه أستاذه أبي الجواد محمّد بن عثمان الخربائي الشافعي (المتوفى سنة 850 هـ) القرآن الكريم، وعلى يدّه حفظ البقاعي القرآن الكريم. وبعد خروجه من قريته إلى دمشق فتحت له فرصة كبيرة في طلب العلم، وفي دمشق جوّد القرآن وجدّد حفظه، وأفرد القراءات وجمعها على بعض المشايخ، و قرأ جمعًا للعشر على الإمام ابن الجزري. سافر إلى القدس عام 827 هـ وتعلّم فيها الحساب، وأخذ العلم من علمائها, ثمّ رجع إلى دمشق واستمرّ تلقيه العلم عن علمائها في الفقه والنّحو والقراءات وغيرها.

في سنة 832 هـ، سافر البقاعي ثانية إلى القدس، وأقام بالمدرسة الصلاحية وأخذ العلم من علماء بيت المقدّس. ثمّ في عام 834 هـ رحل إلى الخليل ثمّ إلى غزة ثمّ إلى القاهرة، فلازم فيها ابن حجر العسقلاني استفاد منه استفادات عظيمة في علوم الحديث الشريف خصوصًا، ولازمه حتّى توفّي ابن حجر، وسمع جملة من كتب الحديث من أعلام علماء القاهرة، ثمّ رجع في آخر العام ذاته إلى القدس.ثمّ في أوائل عام 835 رجع إلى القاهرة وبدأ في اختصار تفسير ابن جرير الطبري، وكتب منه نحو عشرين كراسًا.

في سنة 836 هـ سافر البقاعي لصحبة ابن حجر إلى حلب، فسمع من علماء حلب ودمشق والقدس الخليل وحماة وحمص ورجعوا إلى القاهرة سنة 837 هـ، وفي سنة 837 هـ سافر داخل مصر إلى كلّ من دمياط والإسكندرية وما بينهما من المدن وأخذ عن علمائها. حتّى عام 880 هـ بقي البقاعي في مصر، ثمّ حصلت له مضايقات شديدة فيها مع فقر حاله، فرجع إلى موطن شبابه دمشق في عام 880 هـ بعد إتمامه لكتابه (الإعلام بسن الهجرة إلى الشام)، أي أنّه هاجر بعد هذا التّاريخ بقليل، فيكون قد عاش في مصر حوالي خمسيه عامًا، أي من عام 834 هـ وحتّى عام 880 هـ. عاش البقاعي بعدها في الشام خمس سنين، وسكن فيها في منزله المجاور للمدرسة البادرائية القريبه من المسجد الأموي، وتعرض في دمشق للمحن أيضًا، إلى أن توفّي رحمه الله تعالى ليلة السبت 18 رجب 885 هـ/1480 م[18].

---

18 انظر بتصرف: مشهور موسى، **التّناسب القرآني عند الإمام البقاعي (دراسة بلاغية)**، رسالة الماجستير، ص 10-12/ سعد محمود، **الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن**، ص 12-61/ الخطيب عبد الله ، **برهان الدين البقاعي ومنهجه في تفسيره دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن العظيم**، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)، م6، ع2.

الفرع الثاني: نُبذة عن تفسير نظم الدّرر في تناسب الآي والسّور

يجدر بنا التعريف بتفسيره قبل الخوض في منهجه، قد سمى تفسيره ب: (نظم الدرر في تناسب الآي والسُور)، كما عنوانه تكلّم الكتاب عن التناسب بين الآيات والسُور في القرآن الكريم، بل هو من أجل كُتب التّفاسير الّتي تبحث عنها. ويُعدّ أول تفسير كامل من نوعه في تطبيق علم المناسبة بين الآيات والسور، ويُعدّ من أوسع المراجع في علم التّناسب؛ فلا يكاد يخلو بحث من البحوث التي عرضت لأي دراسة فيها صاحبها لعلم المناسبة إلّا يذكر كل منها البقاعي وكتابه[19].

هذا الكتاب له نسخ عديدة مخطوطة في مكتبات العالم[20]، وهو مطبوع اليوم في أكثر من طبعتين: إحداها: في عام 1976م، طبعة حيدر آباد الدكن في الهند، في 22مجلدًا، وأخر: في عام 1995مطبعة دار الكتب العلمية في بيروت، بتحقيق عبد الرزاق غالب المهدي.

ذكر الإمام الشوكاني في ترجمته أن البقاعي جمع بين التّفسير بالمأثور والتفسير بالرأي[21]، أمّا التّفسير بالمأثور فقد اعتمد تفسيره على تفسير للقرآن بالقرآن، وتفسير للقرآن بالأحاديث النبوية مع الوقوف على عنايته بالسند والتخريج، وتفسير للقرآن بأقوال الصّحابة والتّابعين. وأمّا التّفسير بالرأي والاجتهاداعتمد تفسيره في خدمة المناسبة القرآنية على عناية بالفقه وأصوله وعلم القراءات، واللغة، والنّحو، والشّاهد.

أما منهجه في التّفسير فسنبينه اختصارًا في النقاط الآتية كون الموضوع قد قتل بحثاً:

1. بين مقصود السّورة؛ لأنّه الباب لمعرفة تناسبها.
2. طابق بين مدلول اسم السورة (أو أسمائها) ومضمونها؛ لأنّ اسم السّورة معبر عن مضمونها ومسماها.
3. فسّر البسملة بما يناسب مقصود السّورة
4. فسّر الكلمة لغويًا بما لا يخرج عن مدلولها اللغوي
5. فسّر الكلمة القرآنية بكلمتين فأكثر بسبب أنّ الكلمة الواحدة لا تقوم مقام كلمة من القرآن، وهذا لأنّه لا ترادف في القرآن عنده
6. التزم ذكر الروابط والتّناسب بين أوّل السّورة وأخرها
7. فسّر الكلمة حسب سوابق الكلام ولواحقه، مع المحافظة على القانون اللغوي
8. أضاف أنواعًا عديدة من الروابط بين الآيات والسور ممّا لم يذكره في المقدّمة

---

19 عباس فضل، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، 249/2.

20 البقاعي، **نظم الدرر**، 620/8-621.

21 الشوكاني، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، 19/1-22

9. ذكر القراءت
10. استشهد بالأحاديث النّبوية الشريفة، وبما أثر عن السلف الصالح[22].

المبحث الثاني: استخدام نظرية نظم القرآن في تفسير البقاعي للبقرة (من الآية 1 إلى الآية 46)

قرّر البقاعي مستنبطًا من أسماء هذه السورة أنّ مقصود سورة البقرة هو إقامة الدليل على أنّ الكتاب هدى ليُتَّبَع في كلّحال، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب، ومجمعه: الإيمان بالآخرة، فمداره: الإيمان بالبعث الّذي أعربت عنه قصة البقرة، الّتي مدارها الإيمان بالغيب، فلذلك سُميت بها السّورة،كانت بذلك أحق من

(22) الخطيب عبد الله، **برهان الدين البقاعي ومنهجه في تفسيره دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرن العظيم**، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)، م6، ع2، ص 37.

قصة إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام، لأنّها في نوع البشر وممّا تقدّمها في قصة بني إسرائيل من الإحياء بعد الإماتة بالصعق وكذلك ما شاكلها.

اختلف الإمام البقاعي عن بقية العلماء في إبراز مقصود السّورة، حيث أنّه اجتهد في اكتشاف المقصود الأصليالواحد من السّورة مع أنّها لها مقاصد كثيرة.يرى الإمام البقاعي أنّ المقصود الأصليلهذه السّورة هو: "وصف الكتاب فقط، وما عدا ذلك فتوابع ولوازم.

المطلب الأول: مجموعة الآيات من 1 إلى 20:

موضوعها: إثبات أن الكتاب هدى ليُتَّبَع في كلّحال، وتقسيم أصناف الخلائق أمام هداية القرآن،ووصفالفريقين: الممنوحين بالهداية والممنوعين منها.

وجه التناسق الموضوعي للآيات إجمالًا:

يرى البقاعي أن دعاءالهداية الوارد في سورة الفاتحة أجابه الله بالإرشاد إلى الأمور الآتية:

1-أنّ الهدى المؤوّل إنّما هو في هذا الكتاب: ﴿الم ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ سورة البقرة، الآية: 1-2.

وبيّن لنا صفات الفريقين: الممنوحين بالهداية حتّى يحفز على التّخلّق بها، قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سورة البقرة، الآية: 3-5.

والممنوعين منها زجرًا عن قربها، أي صفات الكفار، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ سورة البقرة، الآية: 6-7.وصفات المنافقين، قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ... أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ سورة البقرة، الآية: 8-16، التمثيل بها في إيصال المعاني حتّى إلى الأذهان الجامدة وتقريرها فيها بقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ... يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ سورة البقرة، الآية: 17-21.

المناسبات التي عرضها البقاعي لهذه المجموعة:

ذكر البقاعي أنّ سورة البقرة تفصيل لسورة الفاتحة، إذ لما أخبر سبحانه وتعالى أنّ عبادَه المخلصين سألوا في الفاتحة هدايةَ الصراط المستقيم الذي هو (غير) طريق الهالكين؛ أرشدهم في أوّل التي تليها (سورة البقرة) إلى أنّ الهدى المؤوّل إنّما هو في هذا الكتاب، فكان ذلك من أعظم المناسبات لتعقيب الفاتحة بالبقرة.

وربط الإمام البقاعي مجموعة الآيات الأولى من سورة البقرة بالآيات الأخيرة من سورة الفاتحة،إذ ذكر فيآخر الفاتحة أن الناس ثلاثة أصناف: مهتدين، ومعاندين، وضالين؛ مثلما صنفهم في أوّل البقرة إلى ثلاثة أصناف: متّقين وكافرين مصارحين وهم المعاندون وضالّين وهم المنافقون، وإجمالهم في الفاتحة وتفصيلهم هنّا من بديع الأساليب وهو دأب القرآن العظيم الإجمال ثمّ التفصيل[23].

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ سورة البقرة، الآية 7.

عرض الإمام البقاعي وجه المناسبة بين هذه الآية بما قبلها مما يكون فيه التّناسب قائمًا على أساس التّعليل، إذ لما كان من أعجب العجب كون شيء واحد يكون هدى لناس دون ناس؛ علّل ذلك بقوله :﴿خَتَمَ اللَّهُ ﴾أي بجلاله ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾أي ختماً مستعلياً عليها فهي لا تعي حق الوعي، لأنّ الختم على الشيء يمنع الدخول إليه والخروج منه[24].

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 10.

ذكرت الآية قبلها أنّ سبب كفرهم ختم مستعل علي قلوبهم، فهنا بيّن سبحانه أنّ سبب الغفلةعن هذا الظاهر والنّفاق كون آلة إدراكهم مريضة، شغلها المرض عن إدراك ما ينفعها فهي لا تجنح إلا إلى ما يؤذيها، كالمريض لا تميل نفسه إلى غير مضارها فقال جواباً لمن كأنّه قال: ما سبب فعلهم هذا من الخداع وعدم الشعور؟ قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[25].

المطلب الثاني: مجموعة الآيات من 21 إلى 25:

موضوعها: دعوة للنّاس إلى عبادة الله وحده وإقامة الدليل عليه، وإثبات القرآن من عند الله، بعجزهم عن معارضته في معناه بإيجاد من أخبر بنفيه وفي نظمه بالإتيان بمثله

مناسبة الآيات لمجموعة الآيات قبلها:

عرض الإمام البقاعي وجه المناسبة بين هذه مجموعة الآيات وما قبلها ممّا يكون فيه التّناسب قائمًا على أساس التفات تنبيه، إذ لما ذكر سبحانه وتعالى المكلّفين من المؤمنين، والكفار، والمنافقين وصفاتهم وأحوالهم؛ انتقل من الإخبار عنهم إلى خطاب النّداء، وهو التفات تنبيه، وهذا من أساليب الفصاحة.

وجه التناسق الموضوعي للآيات إجمالًا:

---

23 البقاعي، **نظم الدرر**، 102/1

24 المرجع السابق، 95/1-96.

25 المرجع السابق، 108/1.

يرى البقاعي أن بعد تقسيم أصناف الخلائق أمام هداية القرآن،ووصفالممنوحين بالهدايةوالممنوعين منها؛ تولّى الله سبحانه دعوة الخلق في هذه الدعوة العامة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 21.

ثمّ وصفه بما أشارت إليه صفة الرب من الإحسان تنبيهاً على وجوده ووجوب توحيد العبادة له بوجوب شكر المنعم فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 22.

المناسبات التي عرضها البقاعي لهذه المجموعة:

التناسب بين هذه مجموعة من الآيات قائمًا على أساس التّرتيب أو التّقديم والتّأخير، إذ لما ذكر الله النعم؛فرتّبت هذه النعم الدالة على الخالق الداعية إلى شكره أحكم ترتيب، قدّم الإنسان لأنّه أعرف بنفسه والنعمة عليه أدعى إلى الشكر، وثنى ممن قبله لأنّه أعرف بنوعه، وثلث بالأرض لأنّها مسكنه الّذي لا بدّ له منه، وربع بالسماء لأنّها سقفه، وخمس بالماء لأنّه كالأثر والمنفعة الخارجة منها وما يخرج بسببه من الرزق كالنّسل المتولّد بينهما[26].

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ سورة البقرة، الآية 23.

عرض الإمام البقاعي وجه المناسبة بين هذه الآية وما قبلها عمومًا ممّا يكون فيه التّناسب يحتمل معنى التّدليل،إذ لما ثبتت أدلة الوحدانية في الآيات قبلها؛وجب امتثال ما دعت إليه ولم يبق لمتعنّت شبهة.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 25.

ربط الإمام البقاعي هذه الآية وما قبلها بالمناسبة التي يكون فيها التّناسب قائمًا على أساس علاقة ضدّية، إذ لما ذكر ما لهم ترهيباً؛ اتبعه ما للمؤمنين ترغيباً فقال صارفاً وجه الخطاب بالرحمة إلى نبي الرحمة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاطفاً على ما تقديره: فأنذرهم بذلك، ولكنّه طواه لأنّ السياق للاستعطاف ﴿**وَبَشِّرِ**﴾[27].

المطلب الثالث: مجموعة الآيات من 26 إلى 27:

موضوعها: إثبات أنّما في القرآن من الأمثال فهي الحق من عند الله

---

26 البقاعي،**نظم الدرر**، 1/146-147

27 المرجع السابق، 1/189.

مناسبة الآيات لمجموعة الآيات قبلها:

عرض الإمام البقاعي وجه المناسبة بين هذه مجموعة من الآيات بما قبلها مما يكون فيه التّناسب قائمًا على أساس التّأكيد والتّوضيح، إذ لما كانت الآيات السابقة متضمّنة لأنواع من التّمثيل ومنها التّمثيل بالأشياء الحقيرة الّتي ظنّ الكافرون أنّها لا تليق بكبريائه؛ عقب ذلك ببيان حسنه على طريق الاستنتاج من المقدّمات المسلَّماتوأنّ المثل هو الحق من عند الله والحق هو: الثّابت الذي لا يصح إنكاره.قال البقاعي: "ولما ثبت بعجزهم عن المعارضة أنّ هذا الكلام كلامه سبحانه ثبت أنّ ما فيه من الأمثال أقواله فهدّدهم في هذه السّورة المدنية على العناد وتلاه بالآية الّتي أخبر فيها بأنّ ثمار الدنيا وأزواجها وإن شابهت ما في الجنّة بالاسم وبعض الشكل فقد باينته بالطعوم والطهارة وما لا يعلمه حق علمه إلّا الله تعالى فاضمحلت نسبتها إليها[28].

المطلب الرابع: مجموعة الآيات من 28 إلى 29:

موضوعها: إنكار حال الكفار في تماديهم على الكفر باالله على طريق البرهان

مناسبة الآيات لمجموعة الآيات قبلها:

عرض الإمام البقاعي وجه المناسبة بين هذه مجموعة الآية وما قبلها مما يكون فيه التّناسب قائمًا على أساس الالتفات الذي يفيد التنكيت والتبكيت،إذ لما دعا سبحانه إلى التّوحيد ودلّ عليه وأنذر من أعرض وبشر من أقبل وذكر حال الفريقين في قبول الأدلة التي زبدتها الأمثال وإبائها؛ التفت إلى تبكيت المدبر لعله يستبصر، واستمرّ سبحانه في دلائل .

المطلب الخامس: مجموعة الآيات من 30 إلى 39:

موضوعها: قصة آدم (عليه السلام) والحكمة في خلقه وكرامته على الله عزّ وجلوتمرد الشيطان بسببه وإغواء الشيطان لآدم وزوجه وإهباط الله عزّ وجل آدم وزوجه والشيطان إلى الأرض والقاعدة التي قررها لهم

مناسبة الآيات لمجموعة الآيات قبلها:

عرض الإمام البقاعي وجه المناسبة بين هذه مجموعة الآيات بما قبلها مما يكون فيه التّناسب قائمًا على العطف الذي يفيد الحثّ على تدبّر ما قبله تنبيهاً على جلالة مقداره ودقة أسراره، إذ بعد أن أخبرنا الله عزّ وجل عن تهيئة الأرض لنا؛ أخبرنا عن قصة خلقنا وما ركبه فينا من استعدادات، تنبيهًا إنّما خلق جميع ما في هذه الأكوان لأجلهم.

وجه التناسق الموضوعي للآيات إجمالًا:

---

28 المرجع السابق، 199/1.

يرى البقاعي أنّ الله عزّ وجل بعد إخباره عن تهيئة ما في الأرض جميعًا للنّاس؛أخبرهم بأنّ جميع ما في هذه الأكوان مخلوق لأجلهم وأنّ النوع الآدمي هو المقصود بالذات من هذا الوجود ، فقد قص الله عزّ وجل قصة آدم (عليه السلام) والحكمة في خلقه، وتفضيل آدم عليه السلام بالعلم، ثمّ تفضيله بإسجاد الملائكة له وإسكانه الجنّة، ثمّ تفضيله بتلقّي أسباب التّوبة عند صدور الهفوة.

المناسبات التي عرضها البقاعي لهذه المجموعة:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ سورة البقرة، الآية 34.

تحتمل هذه الآية وجه المناسبة للآيات قبلها ما تكون فيها التّناسب على أساس الالتفات الذي يفيد التّعظيم والتّكريم،إذ كان ما قبْل هذه الآية قد أخبر عن اللّهبصورة الغائب؛ ثمّ انتقل إلى ضمير المتكلّم، وأتى بنا الّتي تدلّ على التّعظيم وعلوّ القدر وتنزيله منزلة الجمع، لِتَعَدُّدِ صفاتِهِ الْحميدةِ ومواهبه الْجزِيلة .وحكمة هذا الالتفات وكونه بنون المعظّم نفسه أنّهُ صدر منه الأمر للملائكة بالسّجود، ووجب عليهم الامتثال[29].

المطلب الخامس: مجموعة الآيات من 40 إلى 46:

موضوعها: الأوامر والنواهي لبني إسرائيل والتوبيخ لهم بتركهم ما كانوا يأمرون به غيرهم.

مناسبة قسم الآيات لما بعدها:

هذا القسم هو المدخل لتدبّر قصة وأحوالبني إسرائيل التي هي أمة أنزل عليها كتاب سماوي وبعث فيها رسل وهذا ما ميزها عن الكفار والمنافقين. الارتباطّ بين هذا القسم من الآيات وما بعدها قائمًا على أساس تفصيل بعد إجمال، والتعليل، والوعظ،إذتضمّنهذا القسم الأوامر والنواهي الّتي جاءت في سياق الخطاب لبني إسرائيل.

وجه التناسق الموضوعي للآيات إجمالًا:

قال البقاعي أنّ الله سبحانه ابتدأ بتذكير بني إسرائيل بما خصّهم به عن النوع الآدمي من النعم الّتي كانوا يقابلونها بالكفران وما عاملهم به من إمهالهم على مرتكباتهم ومعاملتهم بالعفو والإقالة مما يبيّن سعة رحمته وعظيم حلمه.

29 أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، 245/1.

الخاتمة:

1. هناك تعريفات كثيرة على معاني كلمات "نظرية نظم القرآن". ورجّح الباحث تعريف الفراهي لهذه الكلمات، وهو: "تصوّر عام لقضية أو موضوع في شأن نظم القرآن الّذى تكون السّورة كلامًا واحدًا، ثم تكون ذات مناسبة بالسّورة السّابقة واللّاحقة، أو بالّتي قبلها أو بعدها على بُعد منها، فكما أنّ الآيات ربّما تكون معترضة، فكذلك ربّما تكون السّورة معترضة، فيكون القرآن كلّه كلاماً واحداً، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه، من الأوّل إلى الآخر". ذلك لأنّ هذا التّعريف يشتمل على

أربعة عناصر من معنى "نظم" في علاقته مع القرآن، وهي: التّرتيب، والتّناسب، والتّناسق الموضوعي، والوحدة الموضوعية.

2. ترجع أهمّية نظرية نظم القرآن إلى إبرازأحد جوانب الإعجازالقرآني العظيم، والإعانة على فهم كتاب الله تساعد المسلم المعاصر على قراءة القرآن وفهمه لأنه يميل إلى دراسة الأشياء بطريقة عمليّة وسهلة؛في حين أنه يواجه صعوبة كبيرة في القراءة من كتب التفسير الطويلة المتشعبة الموضوعات والعلوم.
3. أبرز البحث خطوات وضوابط لاستخدام نظرية نظم القرآن
4. عرض البحث من خلال دراسته تطبيق البقاعي لنّظرية نظم القرآن في تفسير سورة البقرة (من الآية 1 إلى الآية 46)، حيث إنّه:
   1) التزم الوحدة الموضوعية في ببيان مقصود السّورة ومجموعات الآيات.
   2) التزم ذكر أنواع عديدة من الروابط والتّناسب.
   3) فسّر الكلمة حسب سوابق الكلام ولواحقه، مع المحافظة على القانون اللغوي.
   4) إذا وجد بالآية موضوع جديد تختلف عن مجموعة الآيات التي قبلها، التزم البقاعي بالربط بينها، حيث يذكر تسلسل موضوعات الآيات في المجموعة التي قبلها قبل تفسير الآيات ذات الموضوع الجديد.
5. ذكر البقاعي في تفسير سورة البقرة (من الآية 1 إلى الآية 46):أنّ مقصود سورة البقرة هو إقامة الدليل على أنّ الكتاب هدى ليُتَّبَع في كلّ حال. ثم التزم البقاعي في تفسير الآيات بالتّناسق الموضوعي حيث فسّر الآية حسب سوابق الكلام ولواحقه، مع المحافظة على القانون اللغوي. والتزم بذكر الروابط والتّناسب،وأضاف أنواعًا عديدة من الروابط.
6. أبرز البقاعي أنّ سورة البقرة(من الآية 1 إلى الآية 46)تتسلسل وتتناسق موضوعاتها من مقدّمتها في اثبات مقصود أن القرآن هو هدى ليُتَّبَع في كلّ حال, ثم تناولت الآيات صفات المؤمنين، والكافرين، والمنافقين، ثم تحدثت عن بدء الخليقة فذكرت قصة أبي البشر، وما جرى عند تكوينه من الأحداث التي تدل على تكريم الله جل وعلا للنوع الشري. ثم تناولت السورة الحديث عن أهل الكتاب،فنبهت المؤمنين إلى خبثهم ومكرهم، وما تنطوي عليه نفوسهم الشريرة من اللؤم والغدر والخيانة، ونقض العهود والمواثيق، ثم تأتي الآيات التي تتكلم عن إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام، لتقصّ علينا قصة النّموذج الكامل لإنسان أنزل عليه هدى فقام به قيامًا كاملًا.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- باوزير، خلود بن خالد بن حسين، **الوحدة الموضوعية بين المؤيدين و المعارضين دراسة تأصيلية مقارنة**، رسالة الماجستير، (الملكة العربية السعودية:جامعة أم القرى، 1436هـ/٢٠١٥م).
- بازمول، محمدبن عمر بن سالم، **التناسق الموضوعي في السورة القرآنية**، (د.ط، (د.م: د.ن، د.ت).
- بازمول، محمد بن عمر بن سالم، **القرآن كله كالكلمة الواحدة**،د.ط، (د.م: د.ن، د.ت).
- بازمول، محمد بن عمر بن سالم، **تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية**، (د.ط، د.ت).
- بازمول، محمدب ن عمر بن سالم، **علم المناسبات في السور والآيات**، (مكة:دار النشر المكتبة المكية، ط1، 1423 هـ /2002م).
- البقاعي، برهان الدين أب يالحسن إبراهيم بن عمر، **مصاعد النظر لإشراف على مقاصد السور**، التحقيق:عبد السميع محمد أحمد حسنين، (رياض: مكتبة المعارف، ط1، 1408هـ/1987م).
- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، وخرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرازق غالب،(بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ/1995م).
- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، التحقيق:صدقي محمد جميل، (بيروت:دار الفكر،1420هـ).
- الخطيب، عبد الله عبد الرحمن، **برهان الدين البقاعي ومنهجه في تفسيره دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرن العظيم**، (المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)، ط2، 1426هـ/2005م.
- خليفة، حاجى، **كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون**، (بيروت: دار الفكر،1990م).
- الزركشي، محمد بن بهادر بن عبدالله، **البرهان في علوم القرآن**، التحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت:دار المعرفة، ط1، 1391هـ).
- سبحاني، محمّد عناية الله، **إمعان النظر في نظام الآي والسور**، رسالة الماجستير، (الرياض: جامعة الإمام محمّد بن سعود،1981م).
- سعد، محمود توفيق محمد، **الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن**، (د.ط، ، د.ت)

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **تناسق الدرر فى تناسب السور**،التحقيق: عبد القادر أحمد عطا، (بيروت:دار الكتب العلمية،1406هـ/1946م).
- السيوطى، جلال الدين عبد الرحمن، **الإتقان فى علوم القرآن**،التحقيق: أحمد بن على، (القاهرة: دار الحديث، ط1، 2006م).
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير، **الموافقات**، (د.م:دار ابن عفان، ط1، 1417هـ/ 1997م).
- الشرقاوى، أحمد بن محمد، **نظرية الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم من خلال كتاب"الأساس في التفسير"**، (عنيزة – كلية التربية للبنات، 1425 هـ).
- شحاتة، عبد الله محمود، **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1976م).
- الشوكاني، محمد بن علي، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**،(القاهرة:مطبعة السعادة، ط1، 1348 هـ).
- عاشور، محمد الطاهر بن محمج بن محمد الطاهر بن عاشور التونيسي،**تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، (تونس: الدار التونسية، د.ط، 1984هـ).
- عباس، فضل، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، (عمان: دار الفرقان، ط1، 1997م).
- الفراهي، عبد الحميد، **دلائل النظام**،(الهند: الدائرة الحميدية، ط2، 1411هـ.).
- الفيروزآبادي،مجد الدين محمد بن يعقوب، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (القاهرة:لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ط، 1416هـ).
- مشهور، موسى مشهور مشاهرة، **التّناسب القرآني عند الإمام البقاعي (دراسة بلاغية)**، رسالة الماجستير ، (عمان: لجامعة الأردنية، 2001م).
- مصطفى،إبراهيم،وآخرون،**المعجم الوسيط**، (القاهرة:دار الدعوة، ط1، ١٤١٢هـ).
- مليسي، إبراهيم بن محمد أبكر عباس، **التَّناسقُ المَوضوعيُّ في سورة الفتح**، رسالة الماجستير، (المملكة العربية السعودية:جامعة أم القرى، 1434هـ).
- ابن منظور،جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، (بيروت:دار الصادر، ط3، ١٤١٤هـ).
- الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**،(مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، 2010م).